

الفصل الثالث والخمسين

فى بيان مواكب مشايخ منبع الأسرار

وقطب الأبرار القطب العلوى السيد أحمد البدوى

لأننا كنا فى بداية السنة القبطية وبقى على قطع النيل ستون يوم، وفى اليوم الذى تسقط فيه أول نقطة فى النيل يكون هذا متوافقًا مع ميلاد عالم الفقراء السيد أحمد البدوى، ويقوم أتباعه من الفقراء بالتجول فى الأسواق يعلنون عن قدوم مولد السيد البدوى (بالدفوف والطبول) ويقرأون القصائد ويوحدون وبعد ذلك يتبقى على قطع النيل خمسة وخمسين يومًا، ويتم إخبار كافة مشايخ و دراويش مصر فى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ بميلاد مشهور الآفاق القطب على الإطلاق السيد أحمد البدوى، ويتجول فى بداية الشهر المذكور ما يقرب من خمسة عشر ألف أو عشرين ألف من فقراء ومشايخ مصر بآلاف الرايات والسناجق فى الأسواق وهم يطبلون على الدفوف والنقارات والطبول وينفخون فى الصور وحينئذ ينشغل سبعمائة شيخ بالتوحيد، حيث يسير موكب عظيم من الفقراء والمشايخ فى جماعات وصفوف إلى قصر الباشا الوالى وهم يرددون «يا رزاق» وعندما يصلوا إلى قصر الباشا يقوموا بالتهليل، ويظل المنكرون لذلك فى حيرة وتعجب من هذا المشهد.

بعد ذلك يخرج كافة المشايخ لمقابلة جان بولاد زاده حسين باشا أمين الديوان العالى، يرجونه استصدار فرمان بيده مولد أحمد البدوى، وبعد الدعاء والثناء، يصدر فرمان لخليفة البدوى بأن يقوم هو وكافة المشايخ بالتوجه بالسفن مع كافة الفقراء من بولاق فى موكب عظيم، حيث يتجهون إلى الغربية ويخطر حاكم الغربية حسن بك وحاكم المنوفية ميرزا كاشف بأن يقوم الجنود بحراسة كافة المشايخ والفقراء الحاضرين فى الموكب لمولد السيد أحمد البدوى وينبه عليهم بأن تكون جنودهم فى حراسة خيام هؤلاء القادمين للمولد، وإذا ما صادف أحد الجنود أى مشقة من أشقياء العريان يحمل نبوت أو عصا أو سلاح فيقوم الجنود على الفور بقتله، ويحرر الأمر الشريف ويعطى للمشايخ ويقوم كبار المشايخ بالدعاء بالخير للباشا الوالى، ويقوم الباشا الوالى بإعطائهم خمسين سفينة

يركبها الفقراء الذاهبين لحضور مولد السيد أحمد البدوي، ويأخذون من المحتسب خمسين قنطاراً من البقسماط والبصل والجبن الحلوم، ويقوم الباشا الوالي بالإحسان على قبر أحمد البدوي بقطعتين من القماش الأخضر وكيلتين من العود وسجادة من الإبريشم، وشمعتان من شمع العسل تزن الواحدة خمسين أوقية، وخمسون عملة ذهبية لختم القرآن الكريم خمسين مرة.

وبناءً على قانون التشريفات يقوم الوالي بتوديع كافة المشايخ وينزل إلى ميدان القصر ويقوم شيخ الجلادين بقراءة المولد أمام جميع أهل الديوان في ميدان القصر، ثم بعد ذلك يذهب كافة العاشقين الصادقين مع جملة الفقراء المجازيب من المدينة وهم يقولون «حي» «هو»، ثم يسير الخليفة (خليفة البدوي) فوق الجواد محيياً عن يمينه وشماله، ويكون شيخ المشايخ الشيخ مصطفى الروملي خليفة حضرة الشيخ مرزوق الكفافي قائداً لكافة المشايخ، ويعبر الموكب حيث ينادى الدلالون أن مولد البدوي يوم كذا القادم، وينزل موكب الشيخ الخليفة عند تكية الشيخ مرزوق الكفافي، وهنا يذهب كل العاشقين إلى ديارهم، وبهذا تُعلن بداية مولد الشيخ البدوي، وبعد ذلك بعشرين يوم.

أوصاف موكب مولد الشيخ إبراهيم الدسوقي

هذا أيضاً موكب عظيم، حيث يسير عدة آلاف من الفقراء والمشايخ على دقات الطبول، ويرفعون الرايات، حفاة الأقدام عراة الرأس يقولون: «يا رزاق» ويعبر موكبهم بالذكر والتهليل وهم في خشوع وخضوع متأدبين بأداب رسول الله ﷺ، ولا يوجد فيهم ملاميون أو مجازيب، حيث أن تلك الطريقة هي الطريقة البرهانية الطريقة السلطانية، ويكون هذا الموكب على نفس نسق الموكب السابق، حيث يذهبون إلى قصر الباشا الوالي ويستأذنون منه، ويعبر موكبهم وهم يوحدون، وليس لهذا الموكب عطايا مثل الموكب السابق ولكن وزير مصر يقوم على سبيل الرحمة بتقديم قطعتين من القماش الأخضر وأوقية من عود البخور، هبة من وزير مصر حيث أن قانون التشريفات في مصر ليس به منح أو عطايا لهذا الموكب، وشيخ هذا الموكب هو الشيخ شرف الدين ويسير بموكب عظيم، ثم يسير المشايخ إلى منازلهم ويذهب كل شخص إلى داره، وبعد

تلك المواكب الخاصة بالموالد تكون كل ليلة في مصر مولدًا للنبي وبذلك يكون ثلاثمائة وخمسة وستون مولد نبي، ومن تلك الليالي ليلة الإسراء وليلة القدر وليلة العيد الأكبر، وتكون كل تلك الموالد بفرمانات من الوزير، حيث يصل عدد تلك الفرمانات إلى اثني عشر، وينادي الدلالون بها. من تلك الليالي ليلة مولد أحمد البدوي وليلة مولد إبراهيم الدسوقي وليلة موكب أمير الحج وليلة السابع من شهر صفر وليلة مولد الجانبولاديه عند باب النصر، وقد تحرر هذا في مواكب الحج، وهذا أيضًا يكون بفرمان من الوزير، ورابع تلك الموالد.

أوصاف مولد حضرة الشيخ البكري

في ليلة الإثنين الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول تُزين مآذن مصر بمائة ألف قنديل لعدة مرات، حتى أن المدينة تصبح مضيئة تمامًا، ويُقام في تلك الليلة على جانب بركة الأزبكية مولد الشيخ البكري، حيث تُقام الموائد قبلها باثني عشر يومًا وليلة لجملة أعيان مصر، وتكون تلك الموائد لكل طبقة من الأعيان على حدة، فليلة للأئمة والخطباء وليلة للعلماء والصلحاء، وليلة للمشايخ الشرفاء وليلة لأعيان الأشراف، وليلة لتقيب الأشراف وليلة مشايخ المذاهب الأربعة وليلة للمدرسين وليلة للقضاة وليلة لقاضي مصر، وليلة لوزير مصر، وفي حالة ما إذا كان لا يقوى على السير يأتون هم إليه محبة منهم، لا سيما وأنها تكية عظيمة، وليلة لكافة الأمراء المحمدين، وينسحب الشيخ أبا بكر ويأتي بالإحسان والهدايا الكثيرة الوافرة ويأخذ منها الخاص العام، ولا تبقى مياه في بركة الأزبكية، حيث يمكث كافة المشايخ والأعيان في الخيام في مساحة ألف فدان في الصحراء الشاسعة، ويجتمع فقراء مائة وأربعين طريقة وينشغلوا بالذكر والتوحيد كما يؤسس سوقًا في جهة منها، وتُباع الأطعمة والمشروبات، وتكون أسواقًا كثيرة.

ويقوم أصحاب المنازل الواقعة على الجوانب الأربعة لبركة الأزبكية بإنارة مائة ألف قنديل عدة مرات، وتُطلق الأعيرة والألعاب النارية والفسنك وتقرع الطبول وتعزف الموسيقى، بما تعجز الألسنة عن وصفه، كما تُزين التكايا بالقناديل وتموج كل النواحي بالبشر وكأنها البحر، ويأخذ بنى آدم الذوق والصفاء من هذا المشهد، وفي تلك الأثناء

يستعد الشيخ لقراءة المولد النبوي في حضور العلماء والصلحاء والمشايخ على ضفاف حوض القاضي الأعظم، ثم يقوم بتلاوة التواشيع الدينية بنغمة حزينة، ويقرأ كافة الحضور المولد النبوي، ويقوم سبعون أو ثمانون خادماً يرتدون البناطيل الحمراء بإشعال أعواد العنبر الخام، وتتعطر رءوس العاشقين من رائحة المسك والعنبر، ويوزع عليهم سكر النبات والمشاريب ذات المسك والمعطرة في أواني مزينة، ويُقرأ المولد الشريف ثلاث مرات ويُحسن على الموشحين والقارئ بالهدايا في الصباح، ثم يتوجه كل شخص إلى وجهته، والحاصل أن اللسان يعجز عن وصفه، وفي تلك الليلة أيضاً يكون مولد:

مولد تكية الشيخ إبراهيم الكُلشني

يقام هذا المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول ومن الصوفية من يذهبون إلى مولد سيدي الشيخ البكري ويمضي البعض الآخر إلى مولد سيدي إبراهيم الكُلشني وهناك من يذهب إلى مولد البكري، ثم يأتي إلى مولد إبراهيم الكُلشني.

إلا أن مولد الكُلشني هذا ليس مولداً للفلاحين ولا العوام من الناس بل هو لخواص الخواص، ويحضره جميع الأتراك وطوائف الجند وأرباب المعرفة والمتصوفة والظرفاء والشعراء. ولا يحضره الغرباء ولا الجهال.

وبعد العشاء يسطون السجاجيد الحريرية الخضراء النفيسة في الحرم المجلو والمصقول أمام الضريح المنير والمعطر لسيدى الشيخ العزيز، ويأتى الصوفية زرافات زرافات وبعد أن يؤدي جمع حاشد من الناس صلاة العشاء يشكل جميع المتصوفة حلقة طبق المراسم الكُلشنيّة وتتلّى سورة «المُلك»، ويتلو جميع الصوفية الأوراد والأذكار في صوت واحد وبقلب واحد وبينما يشغل عشرون بالذكر في جانب وعشرون آخرون في جانب آخر يقع بعض الصوفية في حال الوجد فينهضون ويبدأون فيما يعرف بالسماع، ويدور جميع المتصوفة حول أنفسهم، وتصدر عن الذاكرين أشعار وأنغام شتى مختلفة المقامات الموسيقية، وهي كثيرة يصعب حصرها، وتختلط اثنا عشرة حلقة من حلقات المتصوفة بعضها ببعض متصادمين وقد امتلأت قلوبهم بصفاء المحبة فيقعون في حال الجذب كما

يقعون فى حال الوله وهم فى دورانهم ، ويتغنون بالمنظومات الدينية فى صوت حزين واللى تسمى الواحدة منها «إلهى» ويداوم الذاكرون على ترديد كلمة «اللهم» فى ارتفاع وانخفاض من سمعها وكان مكدوداً مهموماً كاسف البال - دب فيه ديبب الحسوية والتفاؤل، والله أعلم.

وجملة القول أنه على هذا النحو ينشد اثنى عشر فصلاً من التوحيد السلطانى فى اثنى عشر مقاماً ليست لواحدة من الطرق الصوفية المائة وأربعين، وربما كانت للطريقة المطاوعية أو الطريقة البرهانية.

وبعد هذه الفصول يخرج «جلبى أفندى» من خلوته فيحبه جميع الصوفية ويتقدمون لتقبيل يده، فلا يأذن بذلك إلا لمن بايعه وتشرب تعاليمه، وأصبح موضع سره ومن أهل طريقته؛ ولذا يقبل كف يده اليمنى.

و«جلبى أفندى» هذا لا يغادر حجرته قط ولا يختلط بأحد من عوام الناس. إلا أنه يخرج مرة واحدة فى العام هى ليلة المولد. وهو يمتنع دوماً عن الكلام صوام النهار قوام الليل دائماً فى طاعة وعبادة منقطع لتلاوة القرآن الكريم.

ولكى يتعيش يشتغل بالخطاطة فهو جميل الخط، إنه يخط بعض الرسائل يرسلها إلى بعض المتصوفة تبركاً على سبيل الهدية.

وسبب خروجه يوم المولد هو أن بعض المتصوفة يبائعونه ويدخلون فى طريقته وبعضهم ممن لديه الاستعداد للإقامة فى التكية طيلة أربعين أو خمسين سنة يتلقون على يده كيف يصبحون أصحاب سجادة فى بلد آخر. كما أن بعض المتصوفة يشرفون بلقائه مرة فى العام ويظفرون منه بخير الدعاء.

يجلس المتصوفة على السجادة الموجودة على يمنا المحراب فى سكون وخشوع وبعد أن يفرغوا من التوحيد والذكر يصعد المنبر عالم فاضل لتلاوة الأوراد ويردد الموشحات فى صوت واحد، ثم يبدأ ذلك الشيخ الفاضل فى قراءة «مولد سليمان جلبى»⁽¹⁾ فى صوت رخيم فى اثنى عشر مقاماً، ويحيون الليلة حتى مطلع الفجر وهم على تلك الحال.

وعندما تحل لحظة ولادة النبی وتذكر مولد خير الأنام ينهض المتصوفة جميعاً إعظاماً وإجلالاً وينشدون هذه الأبيات فى صوت حزين:

ألم يكشف جمالك الدُّجى يا رسول الله

ألم يبلغ كلام حبيبك ذروة العلى

ثم يبدأ خدام المتصوفة الكلشنيين فى توزيع أنواع الحلوى على الحضور من الأعيان والأشراف، وبعضهم يوزع لفائف النُّقل والأشربة المعطرة، وفى أثر ذلك توزع فناجين القهوة والشاى واللبن والفالودج والسحلب هنا وهناك.

وبعد ذلك ينثر الصوفية ماء الورد وما أشبه على الحضور، ويحرقون العنبر والعود فى المباخر فيتشهى الصوفية من شذاها.

وبذلك نكون قد انتهينا من ذكر مولد آخر، ويذهب من يذهب ويبقى من يبقى، ويبدأ الصوفية فى تلاوة التوحيد ثانية وبعد الفراغ من تلاوته يتلون العشر الشريف: «بسم الله الرحمن الرحيم» «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا» {الزمر: ٧٣}.

وبعد الدعاء يتوجه بعض الصوفية لزيارة سيدى الشيخ العزيز فى داره ثم يذهبون إلى منازلهم.

وجملة القول أنها تكية طريقة طاهرة يعجز اللسان عن امتداحها والسلام.

وفى لىالى هذا الشهر يزين فاعلو الخير المنارات بالعمائم والمناديل والأقمشة لقراءة المولد، ويعلم من ذلك أن ثمة مولد سوف يتلى تلك الليلة فى ذلك الجامع فيحتشد الناس جميعاً فيه. وفى تلك الليلة توصل الحبال من دار إلى دار فى الحارة وتعلق فيها القناديل، كما تزين المقاهى والحوانيت بالقناديل كذلك. وهذا ما لا وجود له إلا فى القاهرة.

(١) منظومة تركية هى الأشهر عند الترك فى مدح الرسول محمد ﷺ، تعرف بـ «وسيلة النجاة» وقد نقلها نظماً وشرحها وعلق عليها الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى، ونشرت بالقاهرة ١٩٨١.

ومن الحق قولنا أن مصر نادرة الزمان .

ومن الناس من يتلو الموالد فى المنارات وأياً كان عدد من يتلون المولد فإنهم يأخذون العمائم الحريرية الموجودة فى المنارات . وثمة منارات تتسع الواحدة منها لأكثر من أربعين رجلاً ، لأن كلا منها بنى طبقة فوق طبقة كأنها البرج وكل طبقة منها تتسع لخمسين رجلاً .

ويردد أكثر من أربعين من البدو المولد حتى مطلع الفجر للحصول على صرة وتبلغ أصواتهم عنان السماء .

أوصاف مولد سيدى أحمد الرفاعى

إنه برهانى الطريقة ، يقام هذا المولد فى ليلة الجمعة الأولى من شهر رجب ، والتكية الرفاعية تكية عظيمة عند جامع السلطان حسن فى حارة «صانعى الرماح» ، وقد سبق وصفها ضمن حديثنا عن التكايا فى القاهرة .

وهذا المولد ليس مزدحماً إلى حد ما ، ويحضره حشد من أهل التقوى والصلاح من ذوى الكرامات . يا له من ملتقى لخواص الخواص .

أوصاف مولد سيدى عمر بن الفارض

تكية عظيمة فى سفح جبل الجوشى الواقع جنوب القاهرة ، يقام فيها المولد مرة فى العام يحضره مائتا ألف من الناس .

وتجتمع كلمة علماء مصر على أنه فى ذلك اليوم تحضر روح النبى (صلى الله عليه وسلم) لأنه وقت إقامة هذا المولد يعم الضياء ، ويخطف البرق فى داخل الجامع ، وهذا ما لا حدوث له فى جامع آخر .

وما أن يصل متكبر أو متجبر إلى هذا المولد حتى يتعلق قلبه بهذه التكية . و يتوافد على هذه التكية جميع المتصوفة والمساكين والغرباء وفى ليلة المولد تلك تتجلى كرامات بعض المتصوفة .

كرامات الشيخ محمد اللبنانى

بينما كنت أجلس مع إمام الدفتردار أحمد باشا داخل محفل المؤذن نهض الشيخ

محمد اللبناني وهو من أصحاب الكرامات واتجه بالخطاب إلى إمام الباشا وسط حشد من الناس قائلاً: «يا إمام الوزير إنزل بالعَجَل إلى مصر، روح إلى الروم بالسلامة» ثم انزوى هذا الدرويش أسفل العمود الذي اعتكف تحته منذ سبع وأربعين سنة وكل من سمع هذا من قوله قال: انزل يا إمام انزل.

فمنهم من ظن أن الإمام سيموت، ومنهم من ظن أن المحفل الذي يجلس فيه سوف ينهار.

فخاف الإمام ونزل أما أنا فلم أحرك ساكناً قط ولبثت في مكاني رابط الجأش. وفي اليوم السابع خُلع أحمد باشا الدفتردار وإمامه وعمت الثورة القاهرة. ولعل هذا كانت نبوءة الشيخ اللبناني.

أى أن تكية عمر بن الفارض تلك بها العديد من أصحاب الكرامات ممن لا سبيل إلى امتداحهم أو وصفهم. وهذه التكية زاوية اعتكاف أهل الحال ممن يتحدثون بالتخاطر ويصلون إلى هذه المرتبة بالرياضات والمجاهدات. إنهم صوامون يفطرون مرة في الأسبوع وهم أناس أطهار أبرار.

وأثناء مقامي في القاهرة (في كل يوم جمعة عقب الصلاة رأيتهم يقيمون شعائرهم) ويحتشد آلاف من الناس وكنت في ذلك اليوم بالذات ألتقي بهذه الطائفة الخاصة وكم شاهدت لبعضهم من كرامات. وطيلة إقامتي في القاهرة لم أتخلف عنهم قط في يوم جمعة، لأنني كنت أكتسب من ذلك صفاء الروح وأقف على مختلف أسرار أحوالهم.

وفي يوم الجمعة في تلك التكية تنشد القصيدة «الثائية» لعمر بن الفارض، وعندئذ يغيب المتصوفة في نشوة الوجد ويضربون الأعمدة برءوسهم فلا يصيبهم من ذلك أذى بإذن الله. ويتبارى العديد من أصحاب الصوت الرخيم في تلاوة العشر الشريف وقصائد مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم).

إنها تكية يستجاب فيها الدعاء والمولد المقام فيها مولد يحضره جميع المتصوفة.

مولد أبي السعود الجارحي

ثمة بلدة تقع بين مصر العتيقة ومصر الحديثة يقام فيها المولد في يوم الأربعاء من كل أسبوع إلا أنه يزدان بمئات الآلاف من القناديل، وتهتز السماء والأرض من دوى التوحيد طيلة ثلاثة أيام بلياليها حتى مطلع الفجر.

ولأن هذه البلدة تبعد عن جنوب القاهرة بثلاثة آلاف خطوة يمضى إليها مائتا ألف على ظهور الحمر، فيمتلئ ذلك الوادى بالحمر ويتزاحم الناس فيه وكأنهم في موسم الحج. ولأن سيدي الشيخ أبي السعود الجارحي قريب عهد بهم فهم يذكرون عنه الكرامات ويحتفون احتفاء لا مزيد عليه بمولده.

لقد عاش الشيخ أبو السعود في عهد السلطان سليم وهو القائل: «تعال يا سليم اجلس على تخت مصر».

مناقب الشيخ الفانى

وثمة من عمر وشرف بصحبة الشيخ أبي السعود الجارحي واتفق أن أتوا به إلى مجلس جان بولاد زاده حسين باشا وقبل الباشا يده الشريفة، ونال منه خير الدعاء إنه الشيخ الفانى (بير فانى)، وهو ليس من أهل القاهرة بل هو من المنوفية، وبما أنها تمتاز بجو لطيف فقد عمر طويلاً، ولقد ظفر بدعاء سيدي الشيخ أبي السعود فنبتت أسنانه اللبنية في فمه وكف بصره، وصارت عيناه وكأنها قديد، وكان يبكى كالأطفال قائلاً: إننى جائع منذ ساعة.

ها هو من يعمر ببركة دعاء سيدي الشيخ أبي السعود له. ولله الحمد أنى شرفت بتقبيل يد هذا الشيخ الهرم الذى شرف برؤية صباحة وجه الشيخ أبي السعود الجارحي وبلغ السبعين بعد المائة من سنه، وظفرت منه بخير الدعاء.

ولأن الشيخ أبي السعود أحد أقطاب الصوفية العظام يقام له مولد عظيم.

مولد الإمام الشافعي .رحمة الله عليه

يمضى آلاف الناس لزيارته كل ليلة سبت ويختمون القرآن الكريم مئات المرات حتى مطلع الفجر شريطة أن يقوم بذلك شيوخ المذهب الشافعي . وهناك من لم ينقطعوا عن حضور هذا المولد منذ أكثر من أربعين سنة وهم كثرة .

وفي كل عام تقام سوق عظيمة ثلاثة أيام بلياليها فتصبح بليدة الإمام الشافعي بحرا زاخراً من البشر . وكم من أناس دفنوا تحت الضريح العالى ممن استشهدوا فى شدة الزحام ولا حاجة لنا للإسهاب فى هذا الباب .

وليعلم إخوان الصفا أنه ليلة إقامة المولد فى أيامنا تلك يختم القرآن الكريم أربعمئة وثلاث وعشرون مرة لأنه فى تلك الليالى يجتمع الآلاف من حفاظ القرآن الكريم ويقال إنه فى إحدى السنوات على عهد إبراهيم باشا ختم القرآن سبعمئة وأربعين مرة ، كما يقال إن أرواح جميع الأقطاب والأولياء تحضر فى تلك الليلة داخل الجامع لذا وقبل بدء المولد بخمسة أيام أو أكثر يستأجر أشرف القاهرة وأعيانها المنازل فى بليدة الإمام الشافعي بخمسة أو عشرة قروش ، ويأتون بأهلهم وعيالهم وأطعمتهم وأشربتهم ويمرحون وينعمون . ويأتى التجار بمئات من خيامهم لبيع الأطعمة والأشربة وبذلك تقام سوق عظيمة . تزين مئات الخيام من خيام الزوار بالقناديل كما تزين جميع المنارات وأسطح المنازل بمئات الآلاف من القناديل فتبدو المدينة فى كامل زينتها . وبذلك ينتهى حديثنا عن مولد الإمام الشافعي .

وقبل أن ينفض جمع المجتمعين ينطلقون إلى مولد سيدى أبى الليث على مقربة من الإمام الشافعي .

مولد تكية سيدى الشيخ أبى الليث

وهو يشبه مولد الإمام الشافعي إلى حد بعيد، يحضره المؤلفون والمصنفون ومعهم آثار عبقرتهم ويلتقى فيه شيوخ الإسلام على المذاهب الثلاثة وتعرض جميع المؤلفات والرسائل على أهل العلم والفضلاء لقراءتها، وإذا رأوا مؤلفا قيما ختموه ووقعوا على صفحات الكتاب مجيزين بذلك تلاوته وتداوله .

ويضعون هذه المؤلفات ليلة أو أكثر في الصندوق الذى يعلو ضريح سيدى «أبى الليث» واتفق أكثر من مرة أن أخرجت تلك المؤلفات من موضعها فى الصندوق ولوحظ أن بعض مواضع فيها قد شطب وبعض مواضعها الأخرى صُوب، كما وجدت رسالة فى العقائد لأحد المؤلفين محترقة داخل الصندوق ووجدت النسخة الأخرى منها فى الصباح - محترقة - وقد حدث ذلك فى عهد أبى النور محمد باشا. فأبو الليث إمام همام يحتشد فى تكيته العلماء والصلحاء والحفاظ يختمون القرآن الكريم آلاف المرات طيلة ثلاثة أيام بلياليها حتى مطلع الفجر. وهكذا تكون موالد أعظم العلماء. وهذا ما يعجز عنه الوصف.

بعد ذلك يمضى المتصوفة إلى الشيخ عقبة.

مولد سيدى الشيخ عقبة الجهينى - رحمة الله عليه -

لحق بهذه التكية الخراب على نحو ما أسلفنا ذكره، لذا تعذر إقامة مولده لفترة، وفى عام ١٠٦٣ رأى خاصكى محمد باشا المشهور بأبى النور محمد باشا الشيخ عقبة فى منامه؛ فجدد هذه التكية وبنى بها جامعاً شامخاً وسبيلاً وساقيتين ومطبخاً ومهبطاً للنور فوق ضريح الشيخ، وأنفق على بناء ذلك مائتى كيس مصرى، وجعل لها أوقافاً عظيمة، وأوقف على إقامة مولده ألف قرش فى كل عام، وعين لها ناظرًا من فرقة الإنكشارية.

وهذا المولد مولد سلطانى كغيره من الموالد السالف ذكرها يقام فتطيب به روح سيدى الشيخ عقبة الجهينى العامرى. ولكثرة ما لهذه التكية من أطعمة وأشربة ترد إليها من أوقافها توزع على العلماء والصلحاء والمتصوفة.

وفى سفح جبل الجوشى:

مولد الشيخ شاهين (قدس سره العزيز)

موضع نزه يستحق المشاهدة يقام فيه كذلك المولد يوماً وليلة، ولأنها تكية واقعة على ربوة قائمة فهى ضيقة، لذا فهى ليست كثيرة الزحام إلا أن المولد الذى يقام فيها مولد عجب.

مولد الشيخ الجوشى

تكية عالية قائمة على قمة جبل المقطم، تبدو مدينة القاهرة من هذا الجبل تحت القدم، تضرب الخيام على قمة هذا الجبل يوما وليلة لإقامة مولد عظيم، وقد شيد هذا الجامع وأوقف عليه أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالى وزير المستنصر بالله العباسى وسمى الجبل الجوشى نسبة إليه أما اسمه فهو «جبل المقطم».

مولد أثر قدم النبى

إنها تكية واسعة بها جامع كبير وقبة عالية أسفلها أثر قدم النبى، وكل هذه الأبنية من إنشاء إبراهيم باشا الدفتردار. وقد سبق لنا أن وصفناها. ويقام فيها كذلك مولد عظيم يدوم يوما وليلة وفيه تتعالى الأصوات بالدعاء لصاحب الخيرات - إبراهيم باشا الدفتردار.

مولد الشيخ السادات

يقام هذا المولد فى التكية التى دفن فيها أجداده العظام فى الموضع الذى يسمى (١) فى القرافة الكبرى وذلك فى منتصف شهر شعبان، وتقام الخيام والسرادات فيها ثلاثة أيام بلياليها، ويتوافد عليها البكوات من مريديه، ويزينون منارة الجامع وجدران التكية وأبوابها، وجميع الخيام بمئات الآلاف من القناديل، ويأتى جمع غفير من الناس وتوزع الأطعمة على الغادى والرائح. إنه مولد عظيم وهو واحد كآلف، يحتشد فيه مئات الآلاف من الرجال والنساء وال كبار والصغار، وذلك فى صحراء مترامية الأطراف، ويمضون هنا وهناك للزيارة، ذلك أن ثمة أضرحة لكثير من الصحابة الكرام والأولياء فى تلك النواحي.

كما دفن فى هذه الجهات من أبناء الأنبياء «بنيامين ابن سيدنا يعقوب عليه السلام» و«افرايم» بن يوسف الصديق الذى ولد فى مدينة الفيوم. وغيرهم الكثير. وسوف توصف هذه المزارات فى حينه.

(١) بياض فى الأصل.

ذكر مناقب الشيخ السادات (أبو التخصيص)

وسيدى الشيخ السادات أبو التخصيص شيخ رفيع المنزلة، لذا لا يتخلف أحد من العلماء والصلحاء والأعيان والأشراف عن زيارته قط، فهم منجذبون إليه إلا أنهم عندما يحضر إلى تكية أجداده ليلة المولد يأتى وفى معيته ألف أو ألفين من المشايخ الكرام ويستوى الشيخ أبو التخصيص على سرير خلافة، وقد أصبح الضريح نورا على نور من مئات الآلاف من القناديل وشمع الكافور، وعندما يتلو ألفان من المشايخ أوراد السادات فى صوت واحد يغيب المرء فى نشوة الوجد، وينصرف عن الدنيا وما فيها، ويغمر النور وجهه وقلبه، وفى تلك اللحظة يسأل الشيخ عن اسم أو من قبل يديه فيكنيه بكنية وپلف عمامة الرضا - التى يبلغ طولها أكثر من ذراعين - حول عنقه وبذلك يمنحه الإجازة ويعتبره فى عداد المتصوفة .

وفى كل مولد يقام يلف الشيخ عمامة الرضا حول عنق أكثر من ثلاثة آلاف رجل ويخلع على كل واحد منهم لقباً . يا لها من حكمة عجيبة . وليس لأحد أن يتنازل عن كنيته التى منحها الشيخ له، وفى عهد خلافته لم يخلع لقباً واحداً على شخصين وهذا سر إلهى عجيب وكان يخلع هذه الألقاب على مریده بإلهام ربانى، وقد منحنى كنية هى «أبو الصفا» وببركة نفسه المبارك أنعم بالصفاء والطمأنينة، وقد لف حول عنقى شالا كشميريا ومنح بعض الأشراف كذلك الشال اللاهورى والشال الكيلانى ودعا لنا بكل خير .

وكان الشيخ إذا ما رأى شخصا كناه بكنية منذ عشرة أعوام ناداه بكنيته قائلاً:
يا أبا الوفا أو يا أبا العال . فما أقوى حافظته التى لها مرتبة القداسة، وكان إذا خلع عمامة الرضا على شخص وجاء إليه هذا الشخص ثانية خلع عليه أخرى وهذا بذل عظيم للمال كذلك .

وجملة القول أنه لا يمكن الوقوف على حقيقة أمر هذا الشيخ بأى حال من الأحوال .
وفى كل عام يمضى كل من هؤلاء السادات بثلاثمائة من الجمال وأكثر من خمسمائة خادم إلى الكعبة الشريفة ويتصدقون بجزيل الأموال ويعودون بسلام .

إنها طائفة مؤدبة وعظيمة الثراء وليس في طبعها التباهي، إلا أنهم يقيمون مولدا عظيما مرة في العام يشرف بحضوره كثير من المريدين والأحباب.

مولد الشيخ البكري

في يوم الحماسين من شهر يوليو يقام مولد عظيم في تكية أجداد الشيخ البكري الواقعة أسفل ضريح الإمام الشافعي. ويواكب هذا المولد مولد الشيخ السادات وتوزع فيه الصدقات ويغنى جميع أهل القاهرة عن السؤال وتضرب فيها كذلك الخيام والسرادقات وتقام الأسواق ويضاء الجامع ومناثره وقاعاته بمئات الآلاف من القناديل مما يجعل الليل نهارا، ويحيون المولد حتى مطلع الفجر ويتلى مرات ثلاثا. إنه مولد عظيم.

مولد أم القياس

سبق أن أشرنا أثناء الحديث عن أوصاف أم القياس إلى أنه عندما تقوم كتيبة من الإنكشارية بتطهير حوض أم القياس تعم البهجة سبعة أيام وسبع ليال، وفي الليلة الثامنة يمضي العسكر وفي ليلة الجمعة يقام مولد عظيم وفي الصباح ينتهي رئيس الجاوشية من إقامة المآذب.

المولد الثاني لأم القياس

بعد ذلك في ليلة سقوط النقطة إلى النيل (ليلة وفاء النيل) يقام المولد الثاني لأم القياس، ويحضره جميع أشراف وعلماء وصلحاء القاهرة ويقيم وكيل مصروفات الباشا السماط ثلاث مرات من صلب مال الباشا احتفالا بالمولد الشريف، وينتظر جميع العلماء زيادة ماء النيل. وتعهد مهمة إقامة هذا المولد إلى رئيس التراجمة إلا أن نفقاته من صلب مال الباشا.

مولد المحمودية

يقام هذا المولد في جامع المحمودية وهو على مقربة من السلطان حسن. وبالقرب منه:

مولد أمير أخورية

يقام في جامع أمير أخورية.

مولد السادات

ثمة مولد آخر لشيوخ السادات ويقام هذا المولد داخل الأزهر.

مولد السلطان قايتباى

يقام هذا المولد خارج القاهرة وهو كذلك مولد عظيم وتوزع من مبرته الأطعمة على الفقراء والمحتاجين والمقتدرين كذلك، ويقام هذا المولد مرة فى العام ويحتشد فيه خلق كثير.

مولد إبراهيم الكلشنى

يقام فى تكية الكلشنية فى بولاق وسوف نذكرها فى حينها.

مولد الشيخ الطشطوشى

وهو مولد آخر لأتباع الطريقة البكرية، وهو كذلك مولد عظيم بالقرب من السلطان الشعراوى.

مولد الشيخ الشعراوى

إنه كذلك مولد عظيم لجميع العلماء الكبار. وجامعه ضيق، لذا لا يتسع لخلق كثير إلا أنه فى هذا المولد تغمر الجامع روحانية عجيبة.

مولد الشيخ الحنفى

وفيه كذلك يحتشد خلق كثير

مولد الشيخ الخلوتى

بالقرب من قنطرة السنقور، إنه كذلك مولد المشايخ إلا أنه ليس عظيم الزحام كغيره من الموالد.

مولد النبى المقام فى تكية سيدنا الحسين

قبل سبعين عاما عطلت إقامة هذا المولد بإيعاز وإغواء من المنكرين، بعد ذلك فى عام ١٠٨٩ ذهب جميع الأشراف إلى مجلس عبد الرحمن باشا وبسطوا إليه الرجاء بإقامة المولد الشريف فى المشهد الحسينى فى هذه السنة المباركة. فوقع ذلك موقع القبول لديه وأصدر أوامره إلى الصوباشى والمحتسب وقاضى العسكر فى صورة مرسوم وجاء فيه:

(لُتْصَاءُ القناديل في جميع المنائر ليلة عاشوراء (أى الليلة الثانية عشرة من شهر المحرم ولتزين جميع الأسواق والحوانيت ليل نهار بالقناديل كذلك) وأمر الدلالين أن ينادوا بذلك وإقامة المولد داخل المشهد الحسينى قدم عبد الرحمن باشا ستة آلاف پاره وعمامة خضراء وأوقية من العود وقنطارا من شمع الكافور .
والى الآن يقام هذا المولد من أوقاف عبد الرحمن باشا وجميع الأشراف وأهل القاهرة يدعون له بالخير .

قاعدة حسنيات القاهرة

بحلول اليوم الحادى عشر من شهر محرم ليلة مولد الإمام الحسين يجتمع عدة آلاف من يهود القاهرة، كل ثلاثة فى مكان وفى أيديهم زناجيل، وأثناء بيعهم ما فيها من عطور وبخور يصيح الثلاثة فى صوت واحد وتبلغ صيحاتهم عنان السماء وتتردد داخل الأسواق والحوانيت . وهذه عادة قديمة، ويعطر بخورهم وعطورهم القاهرة حتى الثانى عشر من شهر محرم . إنها ظاهرة ذات مغزى .

وعلاوة على هذه الموالد يقيم أصحاب الخيرات عدة آلاف من الموالد فى بيوتهم ومساجدهم وزواياهم . وإقامة المولد الشريف فى جميع البلاد فى شهر ربيع الأول ولكن فى القاهرة يقام آلاف الموالد فى جميع شهور السنة ويحتشد فيها كثرة من الناس .

وفى بعض الأحياء يقام فى الليلة الواحدة أكثر من خمسة موالد . ويذل أهل القاهرة المال الجزيل لفرط محبتهم للنبي ﷺ ، لذا أصبح لهم ذائع الصيت بإقامة المولد الشريف .

وبعض الموالد سالفة الذكر يقام بمرسوم من الباشا وبعضها الآخر يقام حسب مراسم الشيوخ ولقد عرفت مئات الموالد غير التى تحدثت عنها ولكن تعذر على الحديث عنها كلها، لذا اكتفيت بما ذكرت منها . وحضرت معظم الموالد الشريفة المقامة خارج القرى والقصبات والى تقام طبقا لمرسوم الباشا وسوف نذكر كل منها على قدر طاقتى فى موضعه .